

غسان محمد \*

## الحراك الشبابي الفلسطيني في سورية: مهمات صعبة وآمال

بعد ملف العدد السابق عن الحركات الشبابية في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ سنة ١٩٦٧ خلال الثورات العربية، تتابع "مجلة الدراسات الفلسطينية" في هذا العدد مناقشة الحالة الشبابية الفلسطينية في كل من لبنان وسورية. ويرصد هذا التقرير تطور الحالة الشبابية الفلسطينية في سورية، فيتتبع بدء تفاعل الحالة الشبابية الفلسطينية مع الثورات العربية في المنطقة، بدءاً بمبادرات شبابية في سورية تتعلق بإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية، ثم عبر مسيرتي ذكرى النكبة والنكسة في السنة الماضية في اتجاه الجولان المحتل، ثم ينتقل التقرير إلى مناقشة تفاعل حالات شبابية فلسطينية مع الثورة السورية. وينتهي الكاتب التقرير بملاحظات عن الجديد الذي يقدمه الحراك الشبابي الفلسطيني في سورية للحركة الشبابية الفلسطينية عامة.

**منذ** اندلاع الثورات الشعبية العربية، فيما سمي ربيع العرب، هذا الربيع الذي اكتسى طابعاً شبابياً كأحد الحوامل الرئيسية لقيامه، بدأت ملامح عديدة تلوح في الأفق بالنسبة إلى الفلسطينيين، وإلى شريحة الشباب منهم خاصة، وتشير إلى ضرورة التوقف أمام إحدى محطات قطار التغيير، للحاق بالركب الذي من الممكن أن يسمح بتغيير قواعد اللعبة بالنسبة إليهم. ونظراً إلى اختلاف الخريطة الجغرافية للتجمعات الفلسطينية، داخل أراضي فلسطين المحتلة، وفي "دول الطوق" خاصة، اختلفت طبيعة تفاعل هذه التجمعات مع موجة الربيع العربي، وإن كانت تتقاطع في الحاجة إلى صناعة ربيع فلسطيني. وفيما يتعلق بالحراك الفلسطيني في سورية، فإنه لم يخل من الحيوية في مرحلة ما قبل أحداث الربيع العربي. وجاءت الانتفاضة الشعبية التي اندلعت في المنطقة العربية، وفي سورية في أواسط آذار / مارس من السنة الماضية، كي تشكل بيئة خصبة لولادة حراك شبابي فلسطيني بدأ بالتفكير في إعادة ترتيب أوراقه من جديد، فقد وجد الشباب الفلسطيني في سورية المناخ مؤاتياً للإعداد لربيع يخص اللاجئين، لجهة تحسين أوضاعهم الاجتماعية، والدفع نحو الانغماس في المشروع الوطني، والعمل أولاً، وقبل أي شيء، بأدوات جديدة، نحو العودة إلى الديار الأصلية، تحاكي أدوات الثوار في مدن الربيع العربي وتتناغم معها.

\* شاب فلسطيني مقيم بسورية.

## منظمة التحرير، عنوان أساسي

بموازاة الحراك الشبابي الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة منذ سنة ١٩٦٧، اتجهت أنظار مجموعات شبابية فلسطينية في سورية إلى منظمة التحرير الفلسطينية، على اعتبار أنها الإطار الموحد للفلسطينيين أينما يكونوا، وأنها الجهة التي غاب دورها في أماكن وجود اللاجئيين الفلسطينيين، وتحديداً في سورية، جراء الخلافات المديدة مع نظام الحكم في سورية، وتشجيعه لمؤسسات مرادفة لمنظمة التحرير الفلسطينية، الأمر الذي انعكس على إقصاء أطراف فلسطينية وفرض أطراف أخرى قريبة من النظام.

وهذه المجموعات الشبابية لم تختزلها أسماء معينة، وإنما عملت على إقامة ورش عمل وجلسات مناقشة للخروج بمبادرات تخدم هذا الموضوع. يقول علي، وهو اسم مستعار (كغيره من الأسماء في هذه الورقة) لشاب من مخيم اليرموك في أواسط عقده الثالث التقيته في نهاية آذار / مارس الماضي، ونشط في مجموعة شبابية لإصلاح منظمة التحرير: "لا نود فتح جبهات مع أحد الأطراف السياسية، ولا نطالب بإسقاط التنظيمات الفلسطينية، بل نسعى إلى إعادة بناء منظمة التحرير وتفعيل مؤسساتها على أساس المشاركة من قبل كافة الأطياف الفلسطينية السياسية والاجتماعية، وذلك من خلال خلق حراك مدني مطلبى يعالج الخلل الذي أدى بدوره إلى غياب تمثيل الفلسطيني في المنظمة ولدى اللاجئ بصفة خاصة، ما أثر في مفهوم الهوية الجمعية للشعب الفلسطيني، واختلاف الأهداف من تجمع فلسطيني لآخر [...]". حالة الربيع العربي تعطينا فرصة سانحة لا يمكن تجاوزها لإعادة تفعيل مؤسسات المنظمة وإدخال روح جديدة عليها.

وساعدت وسائل التواصل الاجتماعية وشبكة الإنترنت على إيجاد مساحة جديدة من التواصل بين الحراك الشبابي في سورية وهيئات شبابية فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ولبنان والأردن، ونشأ عن هذا التواصل صفحات عديدة في هذه المواقع.

ووفقاً لما يقوله ناشطون في هذه المجموعات، فإن أهم العقبات التي تعترض عمل هذا الحراك هو غياب القرار السياسي الفلسطيني، والإرادة السياسية التي لا بد من توفرهما للنهوض بالمنظمة، فضلاً عن نمط التفكير القديم الذي يسيطر على أجواء منظمة التحرير، وغياب الديمقراطية كأسلوب عمل داخل أطر المنظمة، وترهل مؤسسات المنظمة وخصوصاً الشبابية منها (الاتحاد العام لطلبة فلسطين، اتحاد الشباب الفلسطيني)، وعدم ملاءمتها لاستيعاب طموحات الشباب وطاقاتهم. هذه الأمور مجتمعة أفقدت الثقة بقدرة المنظمة في صيغتها الحالية على تحقيق الأهداف الوطنية، وقوّضت الرغبة في انتزاع تمثيل حقيقي وجاد للشباب الفلسطيني في صلب القرار الوطني، وذلك من خلال انتخابات حرة ومستقلة للمجلس الوطني الفلسطيني، وإعادة بناء مؤسسات المنظمة.

وفي المقابل، لم تصل بعد حالة الحراك الشبابي تجاه تفعيل المنظمة إلى مرحلة واضحة من التنظيم والتفكير الاستراتيجي القادرين على الحفاظ على استمرار عمل هذا الحراك. كما أن تسارع وتيرة الأحداث في سورية ساهم في تجميد نشاط هذه المجموعات، وفي بعض الأحيان، في انتقال جزء منها للانخراط في أعمال الانتفاضة السورية في نواح عديدة.

## "الشعب يريد العودة إلى فلسطين"

لم يكن متوقعاً من دعوات نشرها ناشطون في صفحة "الانتفاضة الفلسطينية الثالثة" في موقع التواصل الاجتماعي (الفايس بوك)، ونادوا بها بـ "الزحف" إلى الحدود المتاخمة لفلسطين المحتلة في يوم ذكرى النكبة في أيار / مايو الماضي، أن تحقق اجتيازاً للحدود المغلقة، وأن تشعل مواجهة مع جنود الاحتلال يسقط في

إثرها شهداء. وقد أثار هذا الأمر حراكاً شبابياً تمخض عنه مجموعات شبابية جديدة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين في سورية.

فالعودة الموقته التي حققتها عملية تجاوز الحدود والدخول إلى قرية مجدل شمس الجولانية المحتلة في ١٥ أيار / مايو ٢٠١١، أيقظت حالة جديدة في مخيمات اللاجئين نحو شعار "العودة إلى فلسطين"، وعُدّت إنجازاً جديداً يُحسب للحراك الشبابي، على الرغم من الحديث مطولاً في غرف ناشطين عن دوافع السلطات السورية من فتح الحدود المغلقة. ففي أثناء تشييع شهداء العودة الثلاثة، شارك عشرات آلاف الفلسطينيين في مشهد لم يعيشه مخيم اليرموك حتى في أحداث الحرب الإسرائيلية على غزة. ويُذكر أن آخر أكبر مشاركة كانت لدى وصول رفات الشهداء الفلسطينيين في أعقاب عملية تبادل الأسرى مع حزب الله في صيف سنة ٢٠٠٨. وقد ارتفعت شعارات خلال تشييع شهداء العودة تتناغم مع شعارات الربيع العربي، "الشعب يريد العودة إلى فلسطين"، وترافقت مع همسات تدعو إلى تكرار التجربة في ذكرى نكسة ٥ حزيران / يونيو ٢٠١١.

وما بين ذكرى النكبة والنكسة، شهدت الأوساط الشبابية الفلسطينية في سورية، وخصوصاً في مخيم اليرموك، تشكيل مجموعات جديدة عمل جزء منها على الإعداد للزحف مجدداً إلى هضبة الجولان، وسط اتساع دائرة الانتقاد لنشاط كهذا، بعد رفض هيئات سورية في الثورة لمثل هذه الدعوات على اعتبار أن السلطة تسمح بتجاوز الحدود المغلقة منذ زمن للتغطية على قمعها في الداخل، ولتوجيه رسائل إلى إسرائيل. كما تحفظت هذه الهيئات على استخدام الفلسطينيين كورقة لمصلحة النظام وسط الثورة السورية، ودعت الفلسطينيين إلى عدم الاشتراك فيما وصفته بـ "مؤامرة" رسمية سورية وبمشاركة أطراف فلسطينية.

خلال التجاذبات داخل الأوساط الشبابية الفلسطينية التي شهدتها مرحلة ما قبل ٥/٦/٢٠١١ بشأن جدوى هذا الزحف، نشأ تياران بين هذه الأوساط أحدهما داعم لعملية الزحف، وكان أهم المجموعات المنضوية فيه "الحراك الشبابي المستقل - سورية" الذي دعا صراحة إلى عملية الزحف. وفي المحصلة، لقي هذا التيار تشجيعاً من بعض التنظيمات الفلسطينية المقربة من السلطة في سورية، وضم مجموعات من الشبان الذين وجدوا في مثل هذه الدعوات فرصة كبيرة لتأدية الواجب تجاه فلسطين مدفوعين بالحماسة الشبابية التي ظهرت خلال مسيرة ذكرى النكبة. كما أنهم تحدثوا عن أن الحراك في اتجاه فلسطين لا يشمل سورية وحدها، بل مختلف أماكن وجود الفلسطينيين أيضاً.

أمّا التيار الثاني فوقف ضد دعوات الزحف متخوفاً من ارتكاب مجزرة إسرائيلية جديدة سيذهب ضحيتها العشرات من الشبان الفلسطينيين في معركة غير متكافئة، وخصوصاً بعد ورود أنباء عن التعزيزات الإسرائيلية على الحدود مع الجولان عقب أحداث ذكرى النكبة. وبحسب ناشطين تبوّأوا وجهة النظر هذه، فإن السلطات في دمشق تعمل على دعم هذه الدعوات لاستغلالها لمصلحتها في الصراع الدائر في الداخل السوري. وكان لما حدث في ٥ حزيران / يونيو ٢٠١١، أي سقوط نحو ٢٣ شهيداً على يد جنود الاحتلال الإسرائيلي من دون أن يتدخل الجيش السوري من أجل حماية الشبان الفلسطينيين الذين سقطوا داخل الأراضي السورية، وللشعور بالغبن تجاه التنظيمات الفلسطينية التي وقفت إلى جانب الزحف لأهداف سياسية تحقق مصالحها مع السلطات في دمشق، أن ساهما في أن ينتفض مشيعو الشهداء الفلسطينيين في مخيم اليرموك (جنوبي دمشق) في ٦ حزيران / يونيو على هذه التنظيمات ويهتفوا بشعارات تطالب بإسقاطها وتندد بتقاعس الجيش السوري عن حماية الفلسطينيين، وهي جميعها شعارات جرى تصويرها وتحميلها على "اليوتوب". وقد أظهر خروج شعار مثل، "الشعب يريد إسقاط الفصائل" خلال التشييع مدى ما وصل إليه الغضب في هذه الحالة الفلسطينية (يمكن أيضاً وضع اسم "مخيم اليرموك" في موقع "اليوتوب" لمشاهدة الشعارات، وللحصول على مقاطع عديدة مصورة لما جرى من أحداث في المخيم في يوم التشييع).

كما أن قيام بعض القياديين بمحاولة إلقاء كلمات في نهاية التشييع، وإطلاق أحد المرافقين والحراس

النار في الهواء، أشعلا فتيل أزمة ردّ خلالها الشبان بطريقة عنيفة على هذا الاستفزاز. ولم يكتف المشيعون بذلك، بل ذهبوا أيضاً إلى مقر "الجبهة الشعبية - القيادة العامة" الرئيسي في المخيم (الخالصة)، للتنديد، على مسامع الموجودين فيه، بما اعتبروه دور هذه التنظيمات في قتل الشبان الفلسطينيين واستغلال دمائهم لأجندات رخيصة. وانتهى المشهد بأحداث مؤسفة جرّاء تعرّض المشيعين لرصاص رجالات "القيادة العامة"، وإحراق الشبان مقر الخالصة، ونجم عن ذلك مقتل ثلاثة أعضاء من "القيادة العامة" واثنين من المتظاهرين الشبان وإصابة آخرين.

لقد عانت المجموعات الشبابية الفلسطينية التي عملت على الدعوة إلى الزحف إلى الأراضي المحتلة، كثيراً من الفوضى في آلياتها ومنهجيتها في العمل، نظراً إلى آنية هذه النشاطات والافتقار إلى تراكم الخبرة. وساهم في ضعف تأثير هذه المجموعات عدة أسباب لعل أبرزها وجود مجموعات شبابية أخرى تصدت لمثل هذه الدعوات، وقلة الصديقة في الشارع الفلسطيني بعد الشكوك التي دارت حول دعم جهات أمنية سورية لمبادرات مجموعات "الزحف"، وما واجهته الدعوات من حملة واسعة من الانتقاد والمعارضة من طرف جو عام في المخيمات الفلسطينية، إذ فسروا استشهاد الشبان في الجولان على أنه ثمن لتجاوزات داخلية الفلسطيني ليس طرفاً فيها. وكان هذا سبباً في فشل الدعوات إلى الزحف مجدداً في ذكرى يوم الأرض في ٣٠ آذار / مارس ٢٠١٢، ومقاطعة جميع الأطراف الفلسطينية الحزبية والمؤسسية، بما فيها التنظيمات المقربة من السلطات في دمشق، والمجموعات الشبابية، لهذا النشاط، وذلك على الرغم من مئات الإعلانات التي ملأت طرق العاصمة دمشق، والتي تدعم ما سُمي "المسيرة العالمية لنصرة القدس" في ذكرى يوم الأرض. وقد أصدر "الحراك الشبابي المستقل - سورية" الذي كان متحمساً لمسيرة ذكرى النكبة، سابقاً، بياناً في ٢٣ آذار / مارس ٢٠١٢ يُظهر فيه علناً تغيير موقفه مع تطور الأحداث في سورية، قائلاً (في موقع الفاييس بوك الذي يحمل اسمه):

حراك الشبابي الفلسطيني في سورية، بما تبقى منه من أعضاء وشباب، يؤكّد لجماهير شعبنا الفلسطيني، وفي كل مكان عدم مشاركته بأي دعوات مشبوهة تطلقها أي جهات للزحف باتجاه الأراضي المحتلة من سورية في [ذكرى] يوم الأرض الذي يصادف يوم ٣٠ من الشهر الحالي.

حرصاً على دماء شبابنا ووحدة صفوفنا ونتيجة للظروف التي نعيشها، ندعو جماهير شعبنا لرفض أي دعوات مشبوهة تطلق من أي جهة لا تخدم أجندتها قضيتنا ومصلة شعبنا الفلسطيني.

وفي هذه المناسبة نعود ونؤكد أن الحراك الشبابي الفلسطيني ما يزال متوقفاً عن القيام بأي أنشطة وطنية فلسطينية نتيجة للظروف المأساوية التي تعيشها سورية، والشعب السوري الشقيق [...].

## الحراك الفلسطيني في ظل الثورة السورية

حافظت الحالة الفلسطينية على درجة كبيرة مما يمكن وصفه بـ "الحياد الإيجابي" في الانتفاضة الشعبية في سورية التي اندلعت في آذار / مارس ٢٠١١، إلا إنه ومنذ الأيام الأولى على اندلاع الانتفاضة، بدأت تُكال اتهامات بتورط فلسطينيين في إطلاق النار على المتظاهرين السوريين. وكانت مستشارة الرئيس السوري، بثينة شعبان، وجهت اتهامات إلى فلسطينيين بالتورط في أحداث مدينة اللاذقية الساحلية، فقالت: "أتى أشخاص البارحة من مخيم الرمل [لللاجئين الفلسطينيين] إلى قلب اللاذقية وكسروا المحال التجارية وبدأوا بمشروع الفتنة" (٢٧/٣/٢٠١١ نقلاً عن "رويترز").

وفي الأشهر الثلاثة الأولى على الانتفاضة سقط نحو عشرة شهداء فلسطينيين في مخيم درعا (بحسب توثيق مجموعة فلسطينية، وتسهة شهداء بحسب توثيق "قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية" في أواسط نيسان / أبريل ٢٠١٢)، كان أولهم الشهيد وسام أمير الغول الذي سقط في بداية الانتفاضة السورية. فقد استشهد وسام الغول بتاريخ ٢٣/٣/٢٠١١ في أثناء مساعدته في نقل جرحى سوريين أصيبوا خلال مشاركتهم في تظاهرات منادية بالحرية، وذلك بحسب شهادات إحداهما لشخص كان في المجموعة نفسها وعند وقوع الحادثة، وبحسب توثيق "قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية" التي نقلت مصدر المعلومة عن منظمة "أصدقاء الإنسان الدولية". وكان من أواخر الشهداء خلدون خليفة من مخيم اليرموك، وسقط بتاريخ ٥/٣/٢٠١٢ في أثناء زيارته لأقاربه في درعا.

يقول موسى أحد الناشطين الفلسطينيين في مخيم درعا (في أواسط عقده الثالث): "استطاع المخيم [درعا] أن يحافظ على خصوصيته وحالة الحياد التي اتخذها حيال الأحداث في المحافظة، إلا إنه لا يمكن تجاوز العامل الإنساني الذي يربطنا بالمجتمع المحيط بنا." وقصد الناشط بالعمل الإنساني حملات الإغاثة التي نظمها ناشطون في المخيم للجرحى السوريين، وتقديم الدعم اللوجستي للمكوبين منهم. ويشابه وضع مخيم درعا إلى حد بعيد أوضاع المخيمات الفلسطينية خارج العاصمة، وخصوصاً مخيمات الرمل في اللاذقية ومخيمي "العائدين" في حمص وحماة، لجهة مساحة هذه المخيمات الضيقة، وقلة عدد اللاجئين المقيمين بها، وعدم سلامتها من الأوضاع الأمنية المتدهورة، والحملات العسكرية التي تتعرض لها المدن، وتحولها إلى ملجأ للعائلات السورية المنكوبة، وفي أحيان أخرى مشاركتها للعائلات السورية في النزوح والأوضاع المأساوية.

وكان لاعتقال أربعة ناشطين فلسطينيين في مخيم اليرموك في تموز / يوليو من السنة الماضية على خلفية أحداث ذكرى النكسة وتشبيح الشهداء، والذين وتقيم تقرير "المنظمة الوطنية لحقوق الإنسان في سورية" (٢٦/٧/٢٠١١)، أن سُجّل في أعقابها أول بيان فلسطيني نادى صراحة بالإفراج عن المعتقلين الفلسطينيين وتحميل السلطات السورية المسؤولية عن سلامتهم. كما أن القصف العسكري الذي طال مخيم الرمل في مدينة اللاذقية، ونزوح نحو ٥٠٠٠ شخص، أي بمعدل نصف سكان المخيم وفقاً لإحصائية وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى (الأونروا) (نقلًا عن "فرانس برس"، ١٥/٨/٢٠١١)، أدخلنا أواسطاً من الحراك الشبابي الفلسطيني الذي وقف على "الحياد الإيجابي"، مرحلة جديدة نحو الانخراط في أعمال الانتفاضة السورية. وشهد مخيم اليرموك كأكبر تجمع للاجئين الفلسطينيين تظاهرات للمرة الأولى في ٦ آب / أغسطس ٢٠١١ تضامناً مع أهالي مخيم الرمل، وتنديداً باستهداف المخيم وزجّه في الأحداث الداخلية في سورية. فخرج مئات الشبان الفلسطينيين من أمام جامع عبد القادر الحسيني وسط مخيم اليرموك، كما خرجت تظاهرة ثانية من أمام جامع أويس القرني في منطقة دوار فلسطين في الوقت ذاته.

ووفقاً لشهادات ناشطين، فإنه وعلى الرغم من الأوضاع الصعبة والمعقدة، وضعف الأدوات والإمكانات، والقبضة الأمنية التي تمارسها تنظيمات مقربة من السلطة في سورية، فإن الحراك الشبابي الفلسطيني الذي نشط في أعمال الانتفاضة السورية سجل حالة أوسع من التنسيق فيما بين أعضائه، وعمل على توحيد نشاطه الذي بدا واضحاً في الشبكة الإلكترونية. وبغياب جهة فلسطينية تعمل على حماية اللاجئين الفلسطينيين وتوثيق أسماء الشهداء والمعتقلين والجرحى، قام الناشطون الفلسطينيون في هذا الحراك بهذه المهمة، وحاولوا تفادي شح المعلومات الواردة من المخيمات الفلسطينية في المدن السورية المنكوبة.

وسُجّل إحصاءً وجود عدد كبير من الناشطين الفلسطينيين في تنسيقيات الثورة السورية، وذلك بحسب ناشطين في "لجان التنسيق المحلية" السورية. ويقول ماهر، أحد الناشطين الفلسطينيين في مخيم اليرموك، والذي التقيته نهاية آذار / مارس الماضي (في أواسط عقده الثالث): "تربينا مطولاً على القيم الثورية التي

حملتها موجة الربيع العربي. والثورة في سورية وإقامة نظام ديمقراطي تعددي فيها تجعل الوطن فلسطين أقرب بالنسبة إلينا. اليوم أسعد حينما أرى شعاراتنا وهتافاتنا حاضرة في الثورة السورية.

وفيما يتعلق بالدوافع التي جعلت ناشطين فلسطينيين كثراً يشاركون في فاعليات الانتفاضة، يجيب إبراهيم، وهو ناشط في دمشق التقيته في ٢١ آذار / مارس الماضي، وهو في أواسط عقده الثالث أيضاً، أن الأسباب تتعدد ما بين سياسية وأخرى اقتصادية - اجتماعية، فيقول: "عمل النظام على شق الصف الفلسطيني بدعمه لانشقاقات عديدة جرت في صفوف منظمة التحرير وخارجها، كما دفع بالثورة الفلسطينية للخروج إلى تونس بعد اجتياح بيروت." وتابع قائلاً إن: "النظام السوري حارب طويلاً حملة شعار استقلالية القرار الفلسطيني، هذا إضافة إلى أننا نعتبر أن مطالب الشعب السوري بالحرية والديمقراطية محقة، ولا يستحق كل ما يتعرض له وبمثل هذا القدر من القمع."

وفي وصفه للأسباب، أضاف إبراهيم أن: "وضع اللاجئين الفلسطينيين في سورية أفضل نسبياً من وضع اللاجئين في دول عربية أخرى مما سمح لهم بإنتاج علاقات اجتماعية أوسع مع المحيط السوري، ودفعهم لمشاركة المواطن السوري في همومه الإنسانية التي فرضتها الأزمة السياسية، عدا تأثرهم بالأوضاع الاقتصادية - الاجتماعية التي تمر بها البلاد، [و] جعلهم والمواطن السوري تحت وطأة مشاكل اقتصادية واجتماعية واحدة، لجهة البطالة والأوضاع المعيشية السيئة."

ومع تطور الأحداث في سورية، ارتفعت نسبة مشاركة الفلسطينيين في أعمال الانتفاضة السورية في التظاهرات أو الاعتصامات داخل المخيمات وخارجها في المناطق التي تشهد احتجاجات، الأمر الذي يؤكد تكاثر تنسيقيات المخيمات الفلسطينية، ومقاطع "اليوتوب" المصورة عن التظاهرات، فضلاً عن توثيق "لجان التنسيق المحلية". كما أن هناك زيادة ملحوظة في أعمال الإغاثة التي تستهدف العوائل السورية من المدن المنكوبة التي سجلت زيادة في نسب النزوح عنها منذ أواخر كانون الثاني / يناير الماضي، الأمر الذي أثمر تشكيل "مؤسسة تواصل الفلسطينية لدعم العوائل السورية"، وهي مجموعة إغاثية تكونت من شباب فلسطينيين ناشطين في المجتمع المدني، وباشرت العمل على إغاثة العائلات السورية النازحة عن المدن المنكوبة التي أقامت في التجمعات والمخيمات الفلسطينية وما حولها.

ومنذ بداية أحداث الانتفاضة في سورية، وثقت إحصائيات الناشطين الفلسطينيين أكثر من ستين شهيداً فلسطينياً (وهي أيضاً ٦٣ ضحية بحسب قاعدة بيانات شهداء الثورة السورية" في أواسط نيسان / أبريل ٢٠١٢، و٦٤ ضحية بحسب قائمة أسماء صفحة "الحرية للمعتقلين الفلسطينيين في سجون النظام السوري" في ٢٦ نيسان / أبريل الماضي)، وبينهم عائلتان فلسطينيتان (زهرة وحسن)، سقط أفرادهما ضحية مجزرة بدم بارد، وقعت في ١٢ آذار / مارس الماضي في حمص، علاوة على ما يزيد على ٥٠٠ معتقل فلسطيني (بحسب صفحة الفايس بوك "الحرية للمعتقلين الفلسطينيين في سجون النظام السوري"، وتوثيق ناشطين فلسطينيين التقيتهم). ويذكر أن الشهداء الفلسطينيين يتوزعون بصورة خاصة على مناطق درعا، وريف دمشق، وحمص، واللاذقية، وهناك أفراد في دمشق وحماة وحلب.

وجاء النشاط الإعلامي الإلكتروني للمجموعات الفلسطينية في سورية كي يفرز صفحات فلسطينية في الشبكة الإلكترونية، بعضها يُظهر التضامن مع الثورة السورية مثل "التجمع الفلسطيني لنصرة الثورة السورية" التي تشكلت في نيسان / أبريل ٢٠١١، و"أحرار فلسطين لدعم الثورة السورية" التي تشكلت في نهاية سنة ٢٠١١، و"فلسطينيون يناهزون لثورة الشعب السوري" (وهذه الأخيرة من داخل فلسطين أساساً في أيار / مايو ٢٠١١)، وأخرى منخرطة في أعمال الانتفاضة وتوثيق التظاهرات والشهداء والمعتقلين الفلسطينيين مثل "تنسيقية مخيم اليرموك - الثورة السورية" (تشكلت في تموز / يوليو ٢٠١١)، و"الحرية للمعتقلين الفلسطينيين في سجون النظام السوري" (تشكلت في آب / أغسطس ٢٠١١). كما عمل الناشطون



الشباب على إنشاء شبكة فيما بين صفحات أخبار المخيمات الفلسطينية في سورية نظراً إلى شح المعلومات الواردة من هذه المخيمات.

### التحرر من الاستعمار الإسرائيلي إلى جانب الديمقراطية

كثيرون من الناشطين الفلسطينيين في سورية يحاولون تجاوز فقر أدواتهم وصعوبة أوضاعهم، في مهمة صعبة للتماهي مع الربيع السوري من جهة، والافراد بربيع فلسطيني في اتجاهات متعددة ومعقدة تستهدف إعادة الاعتبار إلى المشروع الوطني الفلسطيني، وتحسين أوضاع اللاجئيين الاجتماعية، وتطوير أدوات الصراع مع الاحتلال في المرحلة المقبلة، وقبل أي شيء، إدخال مفهوم الديمقراطية والحرية إلى الحالة الفلسطينية المتكسفة.

وفي وقت يرفع ناشطون سقف توقعاتهم لدى حديثهم عما يمكن أن يفرزه الحراك الفلسطيني في سورية، فإنهم يربطون ذلك بأملهم بدخول سورية عصراً ديمقراطياً جديداً. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن الحراك الشبابي الفلسطيني في سورية، إذا ما استطاع تنظيم صفوفه وبرامجه السياسية والمطلبية، مرشح لأن ينجح في إدخال طفرة جديدة على صعيد التجارب الشبابية الفلسطينية، ستؤثر في أماكن وجود الفلسطينيين الأخرى، ذلك بأن مثل هذا الحراك يجمع إلى جانب الهمّ الفلسطيني بالعودة إلى فلسطين وبالتحرر، حساسية عالية تجاه قضية الديمقراطية والحرية. كما أن عدم وجود تمييز في سورية ضد الفلسطينيين منذ النكبة يجعل الفلسطينيين متفاعلين مع محيطهم العربي بلا ردات فعل اجتماعية كما هي الحال في بلاد أخرى، فيربط هذا الحراك الشبابي الفلسطيني بين الفلسطينيين والعرب بعروة وثقى لا بد منها من أجل القضية الفلسطينية ذات البعد العربي، مثلما يسند دعم الفلسطينيين الثوار العرب في سبيل حريتهم وتحررهم.

وإلى الآن لا يزال الهمّ السوري طاغياً في حديث الأوساط الشبابية الفلسطينية في سورية، بعد توقف اضطراري للتيارات التي عملت على قضايا فلسطينية من ناحية الزحف في اتجاه الحدود، أو تلك التي نادى بإصلاح منظمة التحرير الفلسطينية. وفي مرحلة مقبلة فإن هذا الهمّ قد يتفاقم وقد يزول. وإلى ذلك الوقت، هل يمكننا القول إن صوت الشباب قادم في المساحة الفلسطينية في سورية كي ينسج مرحلة جديدة من صنعه هذه المرة؟ ■

صدر حديثاً عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية

### مقالات تاريخية تكريماً للأستاذ الدكتور بطرس أبو منة

إعداد وتحرير

عطا الله قبطي؛ جوني منصور؛ مصطفى عباسي

٣٥٢ صفحة ١٢ دولاراً